أسلوب الشرط في القرآن الكريم
(دراسة في الدلالة النحوية)

1- م.م .حسن رضا عبد زغير
2- م.م .ضرغام سعيد منعم

1447هـ - 2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الحجرات: الآية 14]

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة أسلوب الشرط في القرآن الكريم من منظور نحوي دلالي متكامل، مستهدفاً الكشف عن أسرار الربط والتعليق في الخطاب الإلهي المعجز، وتأصيل القواعد النحوية في ضوء الاستعمال القرآني الفريد. يسعى البحث بصورة حثيثة إلى استقراء أدوات الشرط بنوعيها الجازمة وغير الجازمة، مع تحليل الوظائف المعنوية الدقيقة التي تؤديها الجملة الشرطية في سياقات متنوعة تشمل الوعد والوعيد والتشريع الفقهي والحجاج العقلي والبرهان المنطقي. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتتبع حركة الأداة وتأثيرها المباشر في صياغة المعنى وتوجيه السلوك البشري، وخلصت النتائج إلى أن الشرط القرآني ليس مجرد قاعدة نحوية جافة، بل هو أداة حجاجية وتربوية بالغة الدقة تساهم في إبراز الإعجاز البياني للنص الكريم، وتكشف عن تلازم عضوي بين بنية الجملة ومقاصدها العقدية. كما أثبتت الدراسة أن اختيار أداة بعينها دون أخرى يخضع لنظم قرآني دقيق يراعي مقتضى حال المخاطب، مما يجعل أسلوب الشرط ركيزة أساسية في فهم الخطاب القرآني واستنباط أحكامه وقيمه الروحية والتربوية والمنطقية.

الكلمات المفتاحية: أدوات الشرط، التوجيه النحوي، الدلالة القرآنية، التعليق، السياق.

:Research Abstract

This study examines the conditional construction in the Holy Qur'an from an integrated syntactic and semantic perspective, aiming to uncover the intricacies of linkage and dependency within the miraculous divine discourse, and to establish grammatical rules in light of the Qur'an's unique usage. The research diligently seeks to investigate conditional particles in both their jussive and non-jussive forms, while analyzing the precise semantic functions performed by conditional sentences across various contexts, including promise and threat, legal legislation, rational argumentation, and logical proof.

The study adopts a descriptive-analytical approach to trace the movement of conditional particles and their direct impact on meaning formation and the guidance of human behavior. The findings reveal that Qur'anic conditionality is not merely a rigid grammatical rule; rather, it is a highly precise argumentative and pedagogical tool that contributes to highlighting the rhetorical inimitability of the sacred text and demonstrates an organic interrelation between sentence structure and its theological purposes.

Furthermore, the study confirms that the selection of a particular conditional particle over another is governed by a precise Qur'anic system that takes into account the state of the مخاطب (addressee), making the conditional construction a fundamental pillar in understanding Qur'anic discourse and in deriving its legal rulings as well as its spiritual, educational, and logical values.

Keywords: Conditional particles, syntactic orientation, Qur'anic semantics, dependency, context.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وجعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم فكان أفصح العرب لساناً وأوضحهم بياناً، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه القويم وبعد

بيان الموضوع وأهميته:

يمثل النص القرآني الذروة في السمو اللغوي، حيث تترابط آياته في نسق بديع يعجز البشر عن محاكاته. ونلاحظ أن من أبرز الأدوات التي تمنح هذا النص تماسكه المنطقي وقوته الحجاجية هو "أسلوب الشرط"، الذي يعد من أكثر الأساليب النحوية قدرة على الربط بين المسببات وأسبابها والنتائج ومقدماتها. إن أهمية هذا البحث تنبع من كونه لا يقف عند حدود الإعراب الجاف أو القواعد الجامدة، بل يغوص في أعماق "الدلالة المعنوية" ليكشف كيف يوجه الشرط السلوك الإنساني ويصوغ العقيدة بأسلوب إعجازي يجمع بين الترغيب والترهيب. ونحن نرى أن دراسة هذا الأسلوب تفتح آفاقاً جديدة لفهم مرامي الخطاب الإلهي وكيفية بناء الأحكام والتشريعات من خلال أدوات التعليق والربط اللغوي.

مشكلة البحث:

تكمن إشكالية الدراسة في محاولة تتبع التنوع الدلالي الواسع لأدوات الشرط في القرآن الكريم، وتجاوز النظرة النحوية التقليدية التي تحصر هذه الأدوات في أثرها الإعرابي (الجزم) فقط. فنجد أن هناك تساؤلاً جوهرياً حول كيفية اختلاف دلالة "إنْ" عن "لو" أو "لولا" في السياق القرآني، وكيفية توظيف هذه الأدوات لخدمة أغراض عقدية وتشريعية وتربوية متباينة. ونلاحظ أن الخلط بين هذه الدلالات قد يؤدي إلى فهم قاصر للنص، وهو ما استدعى منا تسليط الضوء على "القصدية" في اختيار الأداة الشرطية دون غيرها في المواضع القرآنية المختلفة.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف الأكاديمية، لعل من أبرزها: أولاً، استقراء أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة في النص القرآني وبيان خصائصها النحوية. ثانياً، تحليل الوظائف الدلالية والمعنوية التي تؤديها الجملة الشرطية في بناء الخطاب العقدي والتشريعي. ثالثاً، الكشف عن الأبعاد التربوية والبلاغية التي يحققها أسلوب الشرط، وكيفية مساهمته في إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم. ونستنتج من هذه الأهداف أنها تصب في مجرى واحد وهو إثبات التلازم بين "بناء الجملة" وبين "مقاصد الشريعة".

هيكلية البحث:

لتحقيق هذه الغايات، انتظم البحث في ثلاثة مباحث رئيسة يسبقها ملخص ويتبعها خاتمة بالنتائج. نبتدئ في المبحث الأول بالإطار النظري لأسلوب الشرط تأصيلاً وتعريفاً في اللغة والنحو. ثم ننتقل في المبحث الثاني

إلى دراسة تطبيقية لأدوات الشرط في القرآن الكريم (إن، ومن، وما، ولو، ولولا) محللين نماذج مختارة. وأخيراً، نخصص المبحث الثالث للدلالة المعنوية لأسلوب الشرط في الخطاب القرآني من جوانب عقدية وتشريعية وبلاغية. وقد اعتمدنا في ذلك المنهج الاستقرائي التحليلي بالرجوع إلى أمهات الكتب النحوية والتفسيرية المعتبرة.

المبحث الأوَّل: أسلوب الشرط في اللغة العربية

المطلب الأوَّل: مفهوم أسلوب الشرط وتعريفه وتأصيله الدلالي

يُعد أسلوب الشرط من المفاهيم المركزية في النظام النحوي العربي وهو في اللغة يدور حول "الإلزام والالتزام" أو "العلامة"، ومنه سميت أشراط الساعة لكونها علامات على قيامها"[1]. أما في عرف النحاة، فالشرط هو تعليق حصول مضمون جملة على حصول مضمون جملة أخرى بواسطة أداة مخصوصة، بحيث تصبح الجملة الثانية الجزاء مرتبطة وجوداً وعدماً بالجملة الأولى الشرط. ونلاحظ هنا أن هذا التعليق ليس مجرد رصف للكلمات بل هو رابطة علية تحكم التفكير العربي الفصيح.

وإذا تأملنا تعريف سيبويه في "الكتاب" نجد أنه يصفه بـ "تعليق أمر على أمر بأداة تربطهما ربطاً خاصاً"[2]. ومن هنا نستنتج أن جوهر الشرط هو الربط وبدون هذا الربط يختل المعنى المراد إيصاله للمخاطب. وللجملة الشرطية ركنان أساسيان: الأول هو فعل الشرط، والثاني هو جواب الشرط. ومن وجهة نظرنا كباحثين، نجد أن هذا التقسيم الثنائي يعكس رغبة المتكلم في وضع "ميثاق لغوي مع السامع مفاده أن النتيجة لن تتحقق إلا إذا استوفيت مقدماتها. ويؤكد ابن هشام أن قوة هذا الأسلوب تكمن في الإيجاز المكثف إذ إن أداة الشرط تختصر علاقات منطقية طويلة في حرف أو اسم واحد "[3]. وبناءً على ذلك، نلاحظ أن الشرط يخرج من كونه قاعدة نحوية ليصبح منهجاً في التفكير المنطقي حيث يترتب الجزاء على الفعل بضرورة الأداة الرابطة بينهما، وهذا ما يمنح الكلام الفصيح هيبته وقوته التأثيرية في النفس"[4].

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 329.
[2] - سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج3، ص 56.
[3] - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص 115.
[4] - ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص 42.

المطلب الثاني: أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة (دراسة تصنيفية)

تنقسم أدوات الشرط في اللسان العربي إلى زمرتين جوهريتين تختلفان في الأثر الإعرابي وتتفقان في الوظيفة الدلالية العامة. أما الزمرة الأولى فهي الأدوات الجازمة التي تجزم فعلين وأمّ بابها هي إنْ الحرفية التي تفيد مجرد الربط والتعليقط"[5]. وتشاركها في هذا العمل أسماء الشرط التي تحمل دلالات إضافية، مثل مَنْ للعاقل وما ومهما لغير العاقل فضلاً عن أدوات الزمان والمكان مثل متى وأينما. ونلاحظ هنا أن الأدوات الجازمة تستعمل غالباً في الأمور الممكنة الوقوع والتي تحتمل الشك أو التوقع، مما يجعلها أداة مثالية في سياق التكليف والتشريع القرآني.

أما الزمرة الثانية فهي "الأدوات غير الجازمة وهي التي تؤدي وظيفة التعليق والربط دلالياً دون أن تترك أثراً في حركة الفعل الإعرابية. وأبرز هذه الأدوات "لو ولولا ولوما وكلما" وإذا". فنجد مثلاً أن "لو" تفيد الامتناع للامتناع، أي امتناع الجواب لامتناع الشرط"[6]. ونلاحظ من استقرائنا للنصوص أن الأدوات غير الجازمة غالباً ما تدخل في سياقات الفرض الذهني أو الأمور المحققة أو حتى المستحيلة مما يعطيها بُعداً حجاجياً قوياً. فنحن نستنتج أن اختيار المتكلم لأداة جازمة أو غير جازمة ليس عفوياً، بل هو اختيار "قصدِي يرتبط بمدى ثقة المتكلم في وقوع الحدث أو رغبته في إبراز جانب الفرض والتقدير "[7]. ويذهب ابن مالك إلى أن إنْ هي الأصل في التعليق بينما الأدوات الأخرى هي فروع تحمل بداخلها معاني الظرفية أو الاسمية، وهذا التنوع هو الذي يمنح أسلوب الشرط تلك المرونة العالية في التعبير عن مختلف المقاصد الإنسانية والعقدية [8]".

[5] - المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ج2، ص 48.
[6] - ابن عقيل، شرح الألفية، ج4، ص 25.
[7] - الرضي الاسترآبادي، شرح كافية ابن الحاجب، ج2، ص 220.
[8] - ابن مالك، شرح التسهيل، ج3، ص 218.

المطلب الثالث: أحكام الجملة الشرطية في النحو العربي (بنية الفعل والجواب)

تخضع الجملة الشرطية في لسان العرب لأحكام بنيوية دقيقة تضمن تماسك طرفيها الشرط والجزاء. فنجد أن فعل الشرط والجواب قد يأتيان على صور شتى إما مضارعين أو ماضيين أو مختلفين. ونلاحظ هنا أن النحاة اشترطوا في فعل الشرط أن يكون فعلاً متصرفاً غير طلبي ولا جامد "[9] . أما جواب الشرط فهو الركن الذي تظهر فيه براعة اللغة فإذا لم يصلح أن يكون مجزوماً بالأداة، وجب اقترانه بـ الفاء الرابطة. ونستنتج من ذلك أن الفاء تعمل كجسر بصري ومعنوي يعيد ربط النتيجة بالسبب حينما يضعف الأثر الإعرابي المباشر للأداة.

ومن المسائل التي استوقفتنا في هذا المطلب هو حذف جواب الشرط إذ يجوز حذفه إذا دل عليه دليل من سياق الكلام وهو ما يكثر في الأساليب البليغة للإيجاز. فنجد مثلاً أن الجواب يُحذف لترك مساحة لذهن السامع كي يتخيل عظمة النتيجة أو هولها "[10]. ونلاحظ أن ابن هشام في مغني اللبيب قد فصل في مواضع وجوب الاقتران بالفاء وجمعها في بيت الشعر المشهور: اسمية طلبية وبجامد.. وبما وقد وبلن وبالتنفيذ"[11]. ونحن نرى كباحثين أن هذه القواعد ليست مجرد قيود شكلية، بل هي "هندسة معنوية" تضمن عدم التباس الكلام وتحدد بدقة اللحظة التي تترتب فيها النتائج على مقدماتها مما يمنح الجملة الشرطية إحكاماً منطقياً لا يتطرق إليه الخلل "[12]. وبذلك نستنتج أن استقرار أحكام الجملة الشرطية هو الذي مهد الطريق لاستخدامها كأداة تشريعية وقانونية في أرقى النصوص العربية وعلى رأسها القرآن الكريم "[13].

---

[9] - سيبويه، الكتاب، ج3، ص 60.
[10] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، ج1، ص 130.
[11] - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 156.
[12] - الأشموني، شرح الأشموني على الألفية، ج3، ص 540.
[13] - ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص 55.

المطلب الرابع: الشرط في التراث النحوي العربي (بين سيبويه والمحدثين)

لم يكن أسلوب الشرط مجرد باب عابر في كتب النحو بل كان ميداناً للاشتباك المعرفي بين المدارس النحوية الكبرى. فنجد أن سيبويه قد أولاه اهتماماً خاصاً في الكتاب معتبراً إياه أصلاً من أصول الكلام وتابعه في ذلك المبرد والزجاج"[14]. ونلاحظ أن الدرس النحوي القديم ركز كثيراً على الأثر الإعرابي الجزم بينما نجد عند الزمخشري تحولاً نحو النحو البلاغي حيث بدأ يربط بين اختيار أداة الشرط وبين الموقف الخطابي والحالة النفسية للمتكلم. ونستنتج من هذا التطور أن النحو العربي كان يتحرك دائماً نحو تعميق الفهم الدلالي للنص "[15].

وفي العصر الحديث نجد أن باحثين كباراً مثل تمام حسان قد أعادوا قراءة الشرط من منظور علم اللغة الوظيفي حيث اعتبر الجملة الشرطية جملة مركبة تقوم على علاقة "تلازمية" [16]. ونحن نرى أن هذه الرؤية الحديثة لا تنفصل عن تأصيلات القدماء بل هي قراءة معاصرة لجوهر ما قاله سيبويه عن "الربط الخاص". ونلاحظ أن الدراسات البينية الحديثة بدأت تربط بين الشرط النحوي وبين "المنطق الصوري"، معتبرة أن أسلوب الشرط هو الموازي اللغوي للقضايا الشرطية في المنطق"[17]. وبناءً عليه نستنتج أن أسلوب الشرط يمثل حلقة الوصل بين اللغة والمنطق، وبين النحو والبلاغة، وهو ما يفسر استمرارية البحث فيه وتجدد آفاقه المعرفية عبر العصور، كونه يمس جوهر العقل البشري في إدراكه للعلاقات بين الأشياء "[18].

[14] - المبرد، المقتضب، ج2، ص 55.
[15] - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 210.
[16] - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 198.
[17] - السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص 65.
[18] - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 142.

المبحث الثاني: أسلوب الشرط في القرآن الكريم ـ دراسة تطبيقية

المطلب الأوَّل: أداة الشرط "إن" في القرآن الكريم

تعتبر ـ إنْ ـ من بل أم أدوات الشرط وأكثرها دورانًا في الاستعمال القرآني فهي الأداة الأصلية التي وضعها النحاة كمعيار لبقية الأدوات. ونحن نلاحظ أن القرآن الكريم وظفها في مئات المواضع لتعليق الأحكام العقدية والتشريعية، ولعل السر في كثرة ورودها يعكس طبيعة الخطاب الإلهي القائم على مبدأ التكليف والجزاء المشروط. ومن أبرز هذه المواضع قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (سورة محمد: 7). فنجد هنا أن ـ إن ـ جاءت جازمة لفعلين ونستنتج من هذا الربط أن نصر الله للعبد ليس منحة مجردة، بل هو ثمرة مترتبة على نصرة العبد لدين الله وعقيدته وفي هذا توجيه تربوي يحث على المبادرة والعمل الصالح"[19].

ونلاحظ أيضاً أن "إن" تبرز في سياقات التوازي الشرطي الذي يقابل بين المتناقضات لترسيخ اليقين في القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (سورة آل عمران: 160). فهنا نجد تقابلاً بديعاً بين صورتين: صورة القوة المطلقة المرتبطة بنصر الله، وصورة العجز التام المرتبطة بخذلانه. و نجد أن استخدام "إن" هنا يهدف إلى حصر التوكل في الله وحده إذ يعلق النتيجة النهائية (الغلبة أو الهزيمة) على شرط واحد وهو المشيئة الإلهية. ويشير الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى أن هذا التقابل يعد من أرقى صور التعليم القرآني وأبلغها أثراً في النفس البشرية"[20].

علاوة على ذلك نجد "إن" تساهم في إبراز الأحكام العقدية الدقيقة من خلال اقتران جوابها بالفاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (سورة التحريم: 4). فاقتران الجواب بـ "قد" هنا يفيد التحقق والثبوت ونستنتج من ذلك أن أسلوب الشرط في القرآن يتجاوز مجرد الربط النحوي إلى بناء دلالات وجدانية تدفع المتلقي لمراجعة ذاته. وبناءً عليه، يمكن القول إن "إن" في القرآن هي أداة بناء الشخصية المؤمنة فهي تضع القواعد والنتائج بوضوح تام، مما يجعل المسلم مدركاً أن كل منحة إلهية لها مقدمات ينبغي له تحقيقها "[21].

---

[19] ـ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22، ص 160.
[20] ـ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج2، ص 512.
[21] ـ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص 155.

المطلب الثاني: أدوات الشرط العامة "من" و"ما" و"مهما" في القرآن

أولاً - أداة "من": ترد "من" في القرآن الكريم كشرط جازم للعاقل، وتمتاز بإفادة العموم والشمول، وهو ما ينسجم مع عالمية الخطاب القرآني. ونلاحظ ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (سورة فصلت: 46). فهنا نجد أن "من" تقرر مبدأ العدالة المطلقة والمسؤولية الفردية؛ فكل إنسان مرتهن بعمله. ونستنتج من هذا التوازن بين الشرطين والجوابين أن القرآن يريد ترسيخ فكرة "الاستقلال العملي"، حيث لا يحمل أحد وزر غيره. ويرى السيد محمد حسين فضل الله أن هذه الآية تمثل القاعدة الذهبية في التربية القرآنية "[22]. وفي مقام آخر، نجد "من" تبرز سعة الفضل الإلهي في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (سورة الأنعام: 160). ونلاحظ هنا أن جواب الشرط الأول جاء بصيغة "التفضيل" (عشر أمثالها)، بينما جاء الثاني بصيغة "المماثلة" (إلا مثلها)، مما يبرز الفرق الشاسع بين ميزان الفضل وميزان العدل.

ثانياً - أداة "ما": ترد "ما" لغير العاقل وغالباً ما تستخدم لتحفيز المؤمنين على البذل والعطاء، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة: 110). ونحن نرى أن "ما" هنا تشمل كل أنواع البر صغرت أم كبرت ونستنتج من جزم الفعلين (تقدموا، تجدوه) سرعة تحقق الجزاء الإلهي وضمان عدم ضياع الجهد وفي هذا طمأنة نفسية للمتصدقين والبذلاء"[23].

ثالثاً - أداة "مهما": أما "مهما" فقد وردت لتعبر عن العناد المطلق، كما في قوله تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 132). ونلاحظ هنا أن "مهما" استوعبت كل الاحتمالات التي قد يأتي بها موسى عليه السلام، فجاء جواب الشرط (فما نحن لك بمؤمنين) جملة اسمية منفية ومقترنة بالفاء لتفيد الإصرار والجمود على الكفر. ونستنتج من ذلك أن القرآن وظف هذه الأداة ليرسم صورة دقيقة لغلق منافذ العقل أمام الحقيقة، مما يبرز كيف يخدم النحو دلالة المشهد الحواري "[24] .

[22] - محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ج20، ص 118.
[23] - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 310.
[24] - الألوسي، روح المعاني، ج9، ص 55.

المطلب الثالث: أدوات الشرط الزمانية والمكانية في القرآن

أولاً - أداة "متى": من الملاحظ أن "متى" لم ترد كأداة شرط جازمة في النص القرآني وإنما وردت في سياقات استفهامية ولعل ذلك يعود إلى أن الغرض القرآني في الشرط غالباً ما يتجه إلى "تحقيق الفعل" أو "امتناعه" لا إلى توقيته الزمني المجرد.

ثانياً - أداة "أينما": تبرز "أينما" كأداة شرط مكانية تهدف إلى إحاطة الإنسان بحقيقة الوجود الإلهي أو المصير الحتمي. ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (سورة النساء: 78). فهذه الآية توظف الشرط المكاني لنسف أوهام التحصن المادي؛ فالموت لا يعترف بالحدود الجغرافية. ونحن نستنتج أن الجمع بين "أينما" الاستغراقية وبين الجملة الحالية (ولو كنتم في بروج مشيدة) يهدف إلى بلوغ ذروة التأثير النفسي في المتلقي، ليدرك أن لا مهرب من القدر المحتوم. ويشير صاحب الميزان إلى أن هذا الأسلوب يقطع كل سبل التعلل بالأمكنة "[25].

ثالثاً - أداة "حيثما": ترد "حيثما" لتدل على عموم الأمكنة في سياق التشريع العبادي كما في قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (سورة البقرة: 144). فنلاحظ هنا أن "حيثما" جعلت من كل بقعة في الأرض محراباً للصلاة تجاه القبلة، ونستنتج من هذا التوظيف أن التشريع القرآني يتسم بالمرونة والشمول المكاني فالمسجد ليس بناءً محدوداً بل هو الأرض قاطبة. وبناءً عليه، نرى أن أدوات الشرط المكانية في القرآن لا تعمل كظروف مجردة بل كأطر عقدية توحد وجهة المؤمن وتشعره بالرقابة الإلهية في كل مكان، مما يعزز من قيمة "الإحسان" في السلوك اليومي للمسلم ط[26].

[25] - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج5، ص 12.

[26] - الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج1، ص 245.

المطلب الرابع: أداتا الشرط غير الجازمتين "لو" و"لولا" في القرآن

أولاً - أداة "لو": تمتاز "لو" بعمق دلالي كبير، وهي في الغالب أداة امتناع لامتناع. ونلاحظ أن القرآن يوظفها بكثافة في سياق الحجاج العقلي لبناء براهين لا تقبل النقض. ومن أشهر أمثلتها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (سورة الأنبياء: 22). فنجد هنا أن "لو" رسمت "برهان التمانع"؛ فامتناع الفساد الكوني (الجواب) هو دليل على امتناع تعدد الآلهة (الشرط). ونحن نستنتج من هذا البناء أن القرآن يخاطب العقل الفطري بلغة المنطق الشرطي الذي يؤدي حتماً إلى نتيجة التوحيد. كما نجد "لو" تظهر لتوجيه النبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (سورة يونس: 99). ونحن نرى أن الغرض هنا هو تقرير مبدأ "الاختيار البشري فالله قادر على الإلجاء للإيمان ولكنه جعل الإيمان مشروطاً بإرادة العبد وفي هذا تسلية للنبي بأن الهداية بيده سبحانه "[27].

ثانياً - أداة "لولا": وهي أداة امتناع الجواب لوجود الشرط وكثيراً ما تأتي في سياق الامتنان بفضل الله. ونلاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة النساء: 83). فامتناع اتباع الشيطان (الجواب) سببه وجود فضل الله (الشرط). ونحن نستنتج من هذا الأسلوب أن القرآن يربي المؤمن على "التواضع المعرفي"، فثباته على الحق ليس بعبقريته بل بمدد إلهي. ويشير صاحب الظلال إلى أن "لولا" هنا تمثل أداة فارقة تبرز النعمة وترسخ شعور الافتقار إلى الله "[28]. وبناءً عليه يتضح لنا أن "لو" و"لولا" في القرآن الكريم ليستا مجرد أداتين لغويتين بل هما ركيزتان في بناء العقيدة الإسلامية وفهم العلاقة بين الخالق والمخلوق مما يجعلهما من أهم مفاتيح الاستدلال في النص الشريف "[29].

[27] - محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ج4، ص 510.
[28] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 725.
[29] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 182.

المبحث الثالث: الدلالة المعنوية لأسلوب الشرط في الخطاب القرآني

المطلب الأوَّل: دلالة الشرط في بناء الخطاب العقدي

يوظف القرآن الكريم أسلوب الشرط توظيفاً بارعاً في بناء العقيدة وترسيخ الحقائق الإيمانية الكبرى في نفوس المكلفين. ونلاحظ أن هذه الوظيفة تتجلى بوضوح عند تقرير مبدأ التوحيد أو إثبات البعث والجزاء وحتى في بيان علم الله المحيط وقدرته النافذة. فنحن نجد أن القرآن حين يقرر الحقائق العقدية بأسلوب الشرط، فإنه يربط بين "السبب" و"النتيجة" ليرسخ في ذهن المتلقي أن الكون يسير وفق سنن إلهية ثابتة لا تتبدل. ويشير صاحب الميزان إلى أن هذا الأسلوب يعكس رؤية كونية متكاملة قائمة على الحكمة والنظام "[30].

ومن وجهة نظرنا كباحثين نلاحظ أن القرآن يستخدم الشرط كأداة للتحدي والإفحام العقلي كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (سورة الإسراء: 42). فنجد هنا حجة شرطية مفحمة؛ إذ يستنتج العقل من خلال "لو" الامتناعية أن ادعاء وجود آلهة أخرى يستلزم صراعاً أو تقرباً من صاحب العرش، وبما أن هذا لم يحدث، فإن المقدمة باطلة والتوحيد هو الحق المطلق. ونستنتج من ذلك أن الشرط هنا لم يأتِ للإخبار فقط، بل لغرض الحجاج والبرهان الذي يقطع دابر الشبهات. إن هذا التوظيف يجعل العقيدة قضية منطقية يسلم بها العقل والقلب معاً، حيث نجد أن الربط الشرطي يخرج بالمعنى من حيز التجريد إلى حيز اليقين المشاهد، مما يبرز عبقرية النظم القرآني في صياغة أصول الدين بأسلوب يجمع بين الفصاحة وقوة الدليل"[31].

---

[30] - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص 270.

[31] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 342.

المطلب الثاني: دلالة الشرط في بناء الخطاب التشريعي

يعد الشرط الأداة المركزية في صياغة الخطاب التشريعي القرآني إذ به تضبط الأحكام الفقهية وتحدد قيودها بدقة متناهية. ونلاحظ أن جملة الشرط في آيات الأحكام تعمل كصمام أمان يمنع اللبس؛ فهي تحدد "المناق" الذي يترتب عليه الحكم. ومن أظهر الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (سورة المائدة: 6). فنجد في هذا النص توالياً لشروط متعددة ومتداخلة، ونحن نستنتج من هذا البناء أن التشريع القرآني يحيط بكل ظروف المكلف، فيقدم الحكم الأصلي ثم ينتقل للحكم البديل (الرخصة) عند تحقق شروط معينة كالسفر أو فقد الماء.

ونلاحظ أن استخدام الشرط في قضايا الأسرة والحقوق المالية يأتي لضمان العدالة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (سورة البقرة: 237). فنجد أن الحكم المالي (نصف المهر) معلق على شرطين: الطلاق قبل الدخول، وسبق تسمية المهر. ونحن نرى أن هذا الإحكام النحوي هو الذي يصون حقوق المرأة ويمنع النزاع. ويشير أنور باز إلى أن التوظيف التشريعي للشرط يؤدي وظيفة تربوية، فهو يعود المتلقي على الانضباط الفكري ومراعاة الأسباب والنتائج [32]. وبناءً عليه، نستنتج أن "نحو الشرط" في القرآن هو في الحقيقة نحو التشريع فلا يكاد يوجد حكم فقهي إلا وللشرط فيه نصيب مما يبرز دور الأداة النحوية في ضبط مسارات العمل العبادي والاجتماعي للمسلمين"[33].

[32] - أنور باز، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ج1، ص 185.
[33] - الجصاص، أحكام القرآن، ج2، ص 310.

المطلب الثالث: دلالة الشرط في بناء الخطاب التربوي

يوظف القرآن الكريم أسلوب الشرط توظيفاً تربوياً متميزاً يهدف إلى بناء الشخصية المسؤولة التي تدرك مبدأ السببية. ونلاحظ أن الخطاب التربوي يعلق النتائج الكبرى على التغيير النفسي كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (سورة الرعد: 11). ورغم أن الأداة هنا "حتى" الغائية، إلا أنها تنطوي على معنى شرطي عميق فالتغيير الإلهي مشروط بالتغيير الذاتي. ونستنتج من ذلك أن القرآن يربي الإنسان على المبادرة وعدم الاتكال. ويرى الشيخ المدرسي أن هذه الآية تمثل قاعدة ذهبية في التنمية الذاتية ومسؤولية الفرد عن واقعه "[34]

وفي سياق آخر، نجد الشرط يربط بين القيمة الأخلاقية والفتح المعرفي كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (سورة الأنفال: 29). فنحن نلاحظ أن "التقوى" هي الشرط لامتلاك البصيرة والتمييز بين الحق والباطل. ونستنتج من هذا الربط أن المعرفة النافعة في المنظور القرآني ليست ترفاً فكرياً بل هي ثمرة للالتزام الديني. ويشير صاحب الظلال إلى أن هذه العلاقة الشرطية تكشف عن حكمة تربوية غالية، فالقلب المتقي هو الأقدر على الرؤية الصائبة "[35]. وبناءً عليه نرى كباحثين أن أسلوب الشرط في التربية القرآنية يعمل كـ "محفز سلوكي فهو يضع الجوائز والمكاسب الروحية أمام المؤمن ويربط الوصول إليها بالسعي الدؤوب، مما يجعل من العملية التربوية رحلة هادفة واضحة المعالم والنتائج ".[36]

[34] - محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ج5، ص 312.
[35] - سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص 1510.
[36] - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص 142.

المطلب الرابع: الأبعاد البلاغية لأسلوب الشرط في القرآن

تتعدد الأبعاد البلاغية لأسلوب الشرط في الذكر الحكيم لتشمل مستويات الإعجاز البياني كافة. ونحن نلاحظ أولاً : سمة "الإيجاز والجمع" حيث تجمع الأدوات الشرطية معاني واسعة في كلمات معدودة، وهو ما وصفه الجرجاني بأنه نوع من الإيجاز المعجز "[37].
ثانياً : نجد وظيفة "التشويق والترهيب حيث يعلق القرآن الجزاء الحسن على الفعل الحسن بصيغة شرطية تحرك الوجدان وتستنهض الهمة.
ثالثاً : يبرز التوازي والمقابلة" في بناء الجمل الشرطية كما في المقابلة بين نصر الله وخذلانه وبين العمل الصالح والإساءة مما يمنح النص إيقاعاً بلاغياً وتأثيراً نفسياً مضاعفاً.

ومن ألطف الأساليب البلاغية ما نلاحظه في "التعليق على المستحيل" لغرض المبالغة في النفي كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (سورة الأعراف: 40). فتعليق الدخول على شرط مستحيل هو أبلغ تأكيد على الحرمان، وفي ذلك تفخيم وتهويل يزلزل القلوب. ونستنتج من هذا كله أن الأبعاد البلاغية هي التي تمنح القالب النحوي روحه وتأثيره فالشرط في القرآن ليس مجرد ربط آلي، بل هو فن حجاجي وتصويري يهدف إلى الإقناع والإمتاع في آن واحد [38]. ويؤكد أبو حيان أن هذا التوازي الشرطي والتعليق البديع يعد من أجمل خصائص الأسلوب القرآني وأعمقها دلالة "[39].

[37] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 160.
[38] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص 125.
[39] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص 210.

الخاتمة والنتائج

في ختام هذه الرحلة البحثية مع أسلوب الشرط في القرآن الكريم، نصل إلى جملة من النتائج التي استخلصناها من خلال الاستقراء والتحليل:

- أثبتت الدراسة أن أسلوب الشرط في القرآن يمثل منظومة نحوية متكاملة وظفت لخدمة أغراض عقدية وتشريعية وتربوية، مما يكشف عن عبقرية النظم القرآني.
- نجد أن أداة الشرط "إنْ" هي الركيزة الأساسية والأكثر شيوعاً، وتتميز بدقتها في صياغة أحكام التكليف والوعد الإلهي.
- استنتجنا أن أداة "لو" تؤدي وظيفة حجاجية استثنائية، حيث تحول الامتناع إلى برهان عقلي قاطع يثبت حقائق التوحيد والقدرة.
- كشف البحث عن ترابط عضوي بين الشكل النحوي والمضمون الدلالي؛ فالفصل بين القواعد اللغوية والمقاصد الشرعية يؤدي إلى قراءة منقوصة للنص.
- خلصنا إلى أن الشرط القرآني هو مدرسة تربوية تعلم الإنسان مبدأ المسؤولية، وأن كل اختيار بشري له تبعاته المقدرة عند الخالق.

التوصيات

بناءً على ما تقدم، نوصي بما يلي:

- ضرورة إجراء دراسات مستقلة لكل أداة شرطية في القرآن للغوص في أسرارها الدلالية الخاصة.
- الدعوة لإعداد "معجم شرطي" شامل يصنف الجمل الشرطية القرآنية بحسب سياقاتها (عقدية، تشريعية، تربوية).
- توظيف أسلوب الشرط القرآني في المناهج التعليمية لتعزيز ملكة التفكير المنطقي والربط بين الأسباب والنتائج لدى الطلبة.

ال

مصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق: دار القلم، ط1، 1992م.
- الألوسي، محمود شهاب الدين (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: علي عبد الباري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، 16 مجلداً.
- الأنباري، أبو البركات (ت: 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2003م.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ط1، 1992م، 10 مجلدات.
- باز، أنور (معاصر)، التفسير التربوي للقرآن الكريم، عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2005م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت: 255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1998م، 4 أجزاء.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1992م.
- حسان، تمام (ت: 2011م)، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
- الدرويش، محيي الدين (ت: 1982م)، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دمشق: دار ابن كثير، ط4، 1999م، 9 أجزاء.
- الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن (ت: 686هـ)، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، بنغازي: جامعة قاريونس، 1978م، 5 أجزاء.
- الزركشي، بدر الدين (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1972م، 4 أجزاء.
- الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: 180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988م، 5 أجزاء.
- السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، جزءان.
- السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت، جزءان.
- صافي، محمود (ت: 1997م)، الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه، دمشق: دار الرشيد، ط4، 1995م، 32 جزءاً.
- الشيرازي، ناصر مكارم (معاصر)، الأمثلة في تفسير كتاب الله المنزل، قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط1، 2000م، 20 مجلداً.
- الطباطبائي، محمد حسين (ت: 1402هـ)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 1974م، 20 مجلداً.
- الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، 24 جزءاً.
- عباس، حسن (معاصر)، النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف، ط15، 1998م، 4 أجزاء.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (ت: 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار التراث، ط20، 1980م، جزءان.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، 1991م، 6 أجزاء.
- فضل الله، محمد حسين (ت: 2010م)، من وحي القرآن، بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، ط2، 1998م، 25 مجلداً.
- الفيروزآبادي، مجد الدين (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.
- القرطبي، محمد بن أحمد (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م، 20 جزءاً.
- قطب، سيد (ت: 1966م)، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ط17، 1992م، 6 أجزاء.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد سلامة، القاهرة: دار طيبة، ط2، 1999م، 8 أجزاء.

- المبرد، محمد بن يزيد (ت: 285هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1968م، 4 أجزاء.
- المدرسي، محمد تقي (معاصر)، من هدى القرآن، طهران: دار محبي الحسين عليه السلام، ط1، 1993م، 18 مجلداً.
- ابن مالك، جمال الدين (ت: 672هـ)، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990م، 4 أجزاء.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط3، 1994م، 15 مجلداً.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (ت: 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت: دار الفكر، ط6، 1985م.
- ابن يعيش، موفق الدين (ت: 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، بيروت: عالم الكتب، ط1، د.ت، 10 أجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.